Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i2

المرجعيّة الدينيّة في ديوان محمّد صالح بحر العلوم

1909 - 1992م

دعاء عزيز عبدالله

Email , Doaa.A.Abdullah@utq.edu.iq

أ. د . بسام علي حسين

Email ,dr.bassam.a.hussein@utq.edu.iq

قسم اللغة العربية , كلية التربية للعلوم الإنسانية , جامعة ذي قار

العراق الناصرية

الملخص:

تعد المرجعيّة الدينية واحدة من أكثر المرجعيات الثقافية التي لها تأثرًا عميقاً في الثقافة العربية والإسلامية, فهي تلعب دوراً مهماً في إقناع القارئ, وتعزيز الروح المعنوية والفكرية في النص الأدبيّ, ممّا يساعد الأديب على تحقيق أهدافه وتمرير رسائله إلى المتلقي؛ لأن المرجعيّة الدينية توفر ثراءً فكرياً يوسع آفاق المبدع ويقوي حجمه, ممّا لا شك فيه, أن الثقافة المعرفية للشاعر تنعكس بشكل مباشر على نصه الشعري, وتعمق دلالاته ومعانيه وتزيد من تأثيره في القارئ, فلأدب وبالخصوص الشعر يعد تجسيدًا لنتاج الثقافة التي ينتمي اليه الأديب, ويعد الموروث الثقافي الديني من أهم المصادر التي استمد منها الشعراء أفكارهم وتجاربهم الشعرية ممّا يضفي على شعرهم صفة الخلود والبقاء, ذلك لما يمتلكه الدين من سلطة قدسية لدى الناس, ويتمز بقوة تأثيره الكبيرة, وتتمثل المرجعية الدينية بالقرآن الكريم, والأحاديث الشريفة, والشخصيات الدينية, والألفاظ العبادية, إذ يعد القرآن الكريم المنبع الأول للثقافة الإسلامية , وقد احتلت القصص القرآنيّ مكانة واسعة من متن القرآن الكريم, ممّا يعكس أهمية القصة في التداول الثقافيّ والاجتماعيّ عند المسلمين, وعمق دلالاتها, وأصالة فكرها, وحكمة مضامينها, وقد تميز القصص القرآني بكونه فناً أدبياً يعكس إعجاز القرآن الكريم في أسلوبه ومحتواه, وابتعاده عن الوهم والخيال, ويسعى لتحقيق قيم نبيلة مثل الإيمان, والصبر, والعدل .

الكلمات المفتاحية : المرجعيّة الدينيّة , القصص القرآنيّ , محمّد صالح بحر العلوم , ديوان بحر العلوم.

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i2

Religious reference in the office of Muhammad Salih Bahr al-Ulum 1909 - 1992 après JC

Doaa Aziz Abdullah
Email . Doaa.A.Abdullah@utq.edu.iq
A. Dr. Bassam Ali Hussein
Email . dr.bassam.a.hussein@utq.edu.iq
University of Thi – Qar / College of Education for Human Science

Abstract :

Religious reference is one of the most cultural references that has a profound impact on Arab and Islamic culture. It plays an important role in convincing the reader and enhancing the moral and intellectual spirit in the literary text, which helps the writer achieve his goals and pass his messages to the recipient; because religious reference provides intellectual richness that expands the horizons of the creator and strengthens his size. There is no doubt that the poet's cognitive culture is directly reflected in his poetic text, deepens its connotations and meanings and increases its impact on the reader. Literature, especially poetry, is an embodiment of the product of the culture to which the writer belongs. Religious cultural heritage is one of the most important sources from which poets have derived their ideas and poetic experiences, which gives their poetry the quality of immortality and permanence, due to the sacred authority that religion has over people and is characterized by its great influence. Religious reference is represented by the Holy Quran, the hadiths, religious figures, and devotional words, as the Holy Quran is the primary source of Islamic culture waqad aistataeat alqisas alquraniat makanatan wasieatan min matn alquran alkarimi, mimaa yaekis 'ahamiyat alqisat fi altaeamul althaqafii alshahir eind almuslimina, waeumq dilalaitiha, wa'asalat fikriha, wahukm madaminiha, waqad tamayazat alqisas alquraniu bikawnih fanana 'adabiana yaekis 'iiejaz alquran alkarim bi'uslubih wamuhtawahu, waibtieadih ean alwahm walkhayali, wayaseaa liqayam nabilat mithl al'iimani, walsabra, waleadli. .

Keywords: Religious reference, Quranic stories, Muhammad Salih Bahr al-Ulum, Diwan Bahr al-Ulum.

مفهوم المرجعيّة :

أ. لغة:

وُرد في معاجمّ اللغة لفظة المرجعيّة تعود بمفهومها اللغوي إلى الفعل الثلاثي (رَجَعَ), وجاء في كتاب العين مادة (رَجَعَ):((الرَّجْعَةُ : مُراجَعَة الرَّجُلِ أهلَهُ بَعدَ الطّلاق, وقومٌ يؤمنونَ بالرَّجْعَة إلى الدُّنيا قبلَ يوم القيامة)) (الفراهيدي، 2003), وفي معجم لسان العرب :((رَجَعَ, يَرْجَعُ, رَجْعاً, ورُجُوعًا, ورُجْعَى, رُجْعَانًا, وَمَرْجِعًا, ومَرْجِعَةً : انصرف)) (منظور، 1414هـ) , وجاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ (العلق، صفحة الآية 8), أي الرّجوع والعودة, وقال تعالى : ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ ﴾ (المائدة، صفحة الآية 105), أي بمعنى رجُوعُكم إلى الله يوم القيامة ليجازيكم بأعمالكم, وجاء في القاموس المحيط:((رَجَعَ, يَرْجِعُ, رُجُوعًا , ومَرجِعًا, ومَرْجِعَةً؛ شاذّان, لأنَّ المصادر مِنْ فَعَلَ يَفْعِلُ إنّما تكون بالفتح, ورُجْعَى ورُجْعَانًا بضمّها : انصَرَفَ, وإليهِ رَجْعاً ومَرجَعاً: صَرَفَهُ ورَدَّهُ, والرَّجِيعُ مِنَ الكَلامِ المَرْدودُ إلى صاحِبِه, ويُؤمنُ بالرَّجْعَة أي : الرّجُوعِ إلى الدّنيا بعدَ المَوت)) (ابادي، 2005), ومن هنا نلحظ أن مفهوم المَرجعيّة يعني : الرّجوع, والعودةُ, وهو اسم مشتق من الفعل (رَجَعَ) . إنَّ المفهوم العام لهذا المصطلح تبعًا لما ورد في معاجم اللغة ينتهي إلى معنى واحد هو : الرجوع إلى أصل الشيء, وهذا المفهوم يشتمل على المفاهيم المعرفية والفكرية .

ب. اصطلاحًا :

لابدَّ من توضيح الفرق بين مصطلح (المرجعيّة) وبين مصطلح (المرجع) قبل تعريفها , فالمرجع هو ((أحدُ أمّاتِ الكتُبِ الجامعِة لشتّى المعارفِ أو لنوعٍ خاصٍ منها ملتزماً أحياناً ترتيباً معيناً لتيسير البحث فيها, كالمعجمات ودوائر المعارف)) (المهندس، 1984م) والمرجع هو: كتاب يرجع اليه الباحث ,ليستعين به في بحثه, أمّا المرجعيّة فهي: ((الإطارُ الكلّيّ, والأساس المنهجيّ والركيزة الجوهريّة في أيّ خطابٍ أو ملّةٍ أو مذهبٍ أو دستور أو نظام)) (الغامدي، 2015م), وهي ((العلاقة بين العلامة وما تشير إليه , والوظيفة المرجعية للغة هي الوظيفة التي تحيل على ما تتكلم عنها وعلى موضوعات خارجية عن اللغة)) (علوش، 1405هـ/ 1985م), أي ما يوظّفه الشّاعر في النّص من دلالات قد تأتي على شكل رموز أو ألفاظ تشير إلى مرجعيّة معيّنة , فالمرجعيّة هي ((العالمُ الذي يحيلُ عليه ملفوظ لغويّ علامة منفردة كانت أم تعبيرًا مركبًا, ويكونُ ذلك العالم إمّا واقعيًا موجودًا حاضرًا , وإمّا متخيّلا لا يطابقُ أيَّ واقعٍ خارج التّعبير اللغويّ)) (التمارة، 2013م), والمرجعيات ((مِنَ المفاهيم التي تعملُ في إطار تحليلِ النَّص الأدبيّ , وتفكيكِ مكوّناته الأساسيّة, وهي تمثّلُ المنطقة التي ينهلُ منها الأديب موضوعاته, وقضاياه, وأفكاره, وتقاليده, بوصفها ذخيرة تغذّي نصوصه, وتمدّها بالمعنى الأدبيّ, والثّقافي, والفكريّ, والحضاريّ دائمًا)) (علي، 2013م), وبهذا تكونُ المرجعيّات منبعًا ثقافيًا أو فكريًا للأديب معبرة عن مشّاعر الأديب بالبيئة أو المكان الذي ينتمي اليهِ .

إنَّ جميع الآداب التي تتخذ من الجوانب الدينية أو الفلسفية أو الايدلوجية أو السياسية أو القومية أساسًا لها تخضع إلى مرجعيّات ثقافيّة, يدلُّ عليها سياق الكلام مبهمًا كان أم واضحًا, قد لا تكونُ هذه المرجعيّات مقصودة في الأصل بل قد تأتي مناسبًا لخطاب المتكلم, إذ يستدعي الألفاظ والمعاني فتتداخل في خطابه, ولهذا نجد تفاوت بين الأدباء والشّعراء فيما يقدمون من خطاب يختلف باختلاف مرجعيّاتهم الّثقافية (جاسم، 2021م), والمرجعيّة ((يمكن عن طريقها فهم الصفة أو الحال أو الطبيعة , والكيفية التي يكون عليها المرء لحظة الوصف أو المعاينة أو التحليل فهي تتضمن إذن معنى العودة الى الأصل , والماضي , والذاكرة الثقافية , والجمالية , واستعادة مفصل من مفاصلها في النّص المنتج حديثًا)) (علي، 2013م), و تكون المرجعيات ضمن التراكمات الذهنية في ذهن الأديب اعتمادًا على مكتسبات الأديب المعرفية, و((كل أثر مادي أو معنوي ظاهرة اجتماعية أو كونية ينبغي أنْ ترد إلى أصولها, وتعاد إلى مصادرها, وأنْ تستقرء من ينابعها, وتستخرج من مناجمها)) (حسين، 2008م), وهذا يؤكد على أهمية الرجوع إلى الأصول والمصادر لفهم الظواهر الاجتماعية أو الكونية بشكل أفضل, إذ أن كل أثر سواء كان ماديًا أو معنويًا, يحمل في طياته تاريخًا وتطورًا يمكن أن يساعد في توضيح كيفية نشأته وتأثيره .

ويعُد الاهتمام بالمرجعيّات من الاهتمامات النقدية الحديثة, ففي اللسانيات يطلق عليها(الوظيفة المرجعية) نجد أن رومان جاكبسون (Jacobson Roman) يقول : ((هي أساس كل ما توصل إليه , وهي أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل ذاتها)) (بركة، 1993م، صفحة 67), فهذا يؤكد على الوظيفة التواصلية للمرجعية, ويضيف جاكبسون قائلًا: ((فهذه الوظيفة المسماة تعينيه, أو تعريفية أو مرجعية هي العمل الرئيس للعديد من المراسلات في حين لا تلعب الوظائف الأخرى في المراسلات كهذه , سوى دور ثانوي)) (بركة، 1993م), ومن هنا نلحظ أن رؤية (جاكبسون) للمرجعية أنها تعني الوسط الخارجي أو الاجتماعي الذي يكونُ له دور في تحديد المرجعيّة الموظفة في النّص الأدبيّ.

فتتكون مرجعيّة الأديب سواء أكان شاعرًا أم ناثرًا مع نصوص دينيّة أو أدبيّة أو سياسيّة أو تاريخيّة أو اسطوريّة أو اجتماعيّة يكون راجعًا بها إلى مكان معين, وقد تكون مرجعيّة الأديب لنصوص أو لشخصيّات سابقة لعصره أو معاصر له .

المرجعيّة الدينيّة في شعر محمّد صالح بحر العلوم:

أن القرآن الكريم يعُد لازمة من لوازم الشّاعر الثقافيّة ؛لأنه ((يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنيّ, والحالة النفسيّة, وعن الحادث المحسوس, والمشهد المنظور, وعن النموذج الإنسانيّ, والطّبيعة البشريّة)) (قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، 2004م، صفحة 36), يشكل القرآن الكريم أثر في تكوين الثقافة الشعريّة لدى الشّعراء, لاشتماله على الغايات السّامية, والمقاصد الراميّة, والحكمة, وتهذيب الطباع, والنفوس, لذا أصبح النّص القرآني الأساس الذي يبنى عليه الفكر العربيّ الاسلاميّ, وهو رافد رئيس من روافد الشعر العربي (الفكيكي، 1996م), أمّا الحديث النبويّ الشريف له تأثير كبير على الشعر العربي, وأن الكثير من الشعراء استلهموا من الأحاديث النبويّة لتعزيز القيم الأخلاقيّة مثل الصدق, والامانة, والرحمة كذلك استعملوا الاحاديث لتوجيه الناس نحو العبادة, والتقوى ممّا جعل الشعر وسيلة لنشر التعاليم الإسلاميّة, وتأثر الشعراء بلغة الأحاديث, ممّا اضفى على شعرهم جمالية وعمق, وكان هدف الشعراء من الاقتباس من الأحاديث النبوية الشريفة لزيادة مصداقية أفكارهم وموضوعاتهم .

ألهمت الاحاديث النبويّة الشعراء لابتكار قصائد تناولت موضوعات جديدة, ممّا أسهم في أثراء التراث الأدبيّ العربيّ, فكان للحديث أثرًا واضحًا على الثقافة الشعريّة, فقد ((عد من الأركان الأساسيّة في البيان العربيّ, وتنميّة مادته اللغويّة, ومكونًا من المكونات الأولى للثقافة العربيّة, والإسلاميّة, وقد حث النقاد القدامى الأدباء (كتّابًا وشعراء) على ضرورة حفظ الأحاديث النبويّة الشريفّة, والآثار المرويّة, والتأمل في فصاحتها, والنظر في معرفة معانيها, وغريبها, وانساقها البيانيّة, ففطن الشعراء إلى تلك الأهمية, وحرصوا على ذلك, فعنوا بحفظ الحديث النبويّ الشريف الذي يمثل أرقى مراتب البلاغة العربيّة عند العرب بعد كتاب الله الكريم)) (إسماعيل، 1971م), وبهذا فأن القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف مصدريين أساسيين في الثقافة الإسلاميّة فضلا عن الرموز الدينية, والألفاظ العقائدية, والعبادية التي تضمنها الشعراء في نتاجهم الأدبيّ.

مرجعيّة القصص القرآني :

تحتل القصص القرآنيّ مساحة واسعة من متن القرآن الكريم, وهذا يفصح عن أهمية القصة في التداول الثقافيّ, والاجتماعيّ عند المسلمين, وعمق دلالاتها, وأصالة فكرها, وحكمة مضمونها, وقد تميز القصص القرآني بكونه فناً أدبياً يعكس إعجار القرآن الكريم في أسلوبه ومحتواه, وابتعاده عن الوهم, والخيال, ويهدف إلى تحقيق قيم سامية مثل الإيمان, والصبر, والعدل, ويعد منهجًا تربوية متكاملاً يقدم العبر والدروس, ممّا يجعله أداة فعالة في التربية والتعليم, إذ يعزز من فهم القيم الأخلاقيّة, والدينيّة .

إن الكثير مِن الشّعراء يتبنون أسلوب السرد القصصيّ في قصائدهم, ممّا يجعل النّصوص الشّعرية تشبه الروايات القرآنية في مكوناتها, فاستخدام القصص القرآني في أعمالهم, أثرى أدبهم, وجَعل نصوصهم تلامس القضايا الروحيّة والاجتماعيّة, فقد عُدَّ ((أحد الأساليب التي حملها القرآن ليحاج بها الناس, وليقطعهم عن الجدل, والمماحكة, شأنه في هذا الشأن ما جاء في القرآن من أساليب الاستدلال, والمناظرة, والتعجيز, والوعيد, والتهديد, وغيرها من المشاهدة, والمواقف المبثوثة في القرآن الكريم)) (الخطيب، 1384هـ/ 1964م), فتشكل بوصفه مصدرًا من مصادر الثقافة المتنوعة؛ ((لأنهم استعانوا بقص القرآني الكريم بما فيه من أثر روحيّ ونفسيّ يعينهم على أداء غرضهم)) (المرعب، 2015 ، صفحة 68) , وتعددت أغراض القصة القرآنية, وأهدافها, وفوائدها منها أثبات وحدانية الله تعالى, ومنها توحيد الأديان, وتأكيد العبرة, والعظمة, وغيرها من الأهداف النبيلة فضلاً عن الفائدة الأدبية, والبلاغيّة, التي تتميز بها, بالصواب, والدّقة, واليقين, والتّدبر, وتتميز القصص بأسلوبها البلاغي ممّا يجعلها مصدر إلهام للشّعراء والكتاب إذ يقتبسون منها معاني عميقة (زوير، 2014م ، صفحة 36), والثقافة الدينية لها تأثير عميق على اللغة الشعرية, وبنيتها التصويرية من بين هذا التأثيرات, ويختلف الشعراء في قدراتهم على الاستفادة من هذا النبع الثقافي تبعًا؛ لتفاوت مؤهلاتهم الثقافية والفكرية, والمعرفية, واطلاعهم على قصص القرآن الكريم, لتعمق مخزونهم الثقافيّ الدينيّ (الجادر، 1990م), وتبقى غاية الشّاعر من توظيف القصص القرآني تكمن في ((تقوية معاني قصائدهم, وتوضيح مقاصدهم, والاحتجاج به عند اهتزاز موافقهم)) (الربيعي، 2010م), وبذلك يعد القصص القرآني ((تربة خصبة تعينهم في التزود من المنابع الدينية الأصلية, لينفذوا من خلالها إلى النفس البشرية بسهولة ويسر)) (المعاضيدي، 1995، صفحة 56), وقد شكل القصص القرآني مصدراً ثقافياً سخيًا من مصادر ثقافة الشاعر محمّد صالح بحر العلوم, وتمظهرًا للمرجعيّات الدينيّة في ديوانه, إذ وجده منبعاً ثراً يشع بالإبداع الإلهي تمثله في نسيجه الشعري, مستلهماً التجارب القصصية التي تتلاءم مع تجاربه ومواقفه الشعورية, فكان عوناً له دعم مواقفه وتلبية حاجاته النفسية وغاياته الشعرية (عجيل، 2014م ، صفحة 37).

وشاعرنا كبقية الشعراء الذين شكلت القصّة مرجعيّة دينيّة فاعلة الحضور في ديوانه, وقد حرَص على توظيفها, والإفادة منها؛ لذا نراه ((متخيرًا لتجربته الشّعريَّة ما يلائم الموقف مِن هذه القصص)) (الزهيري، 2011م) , ليعبّر عن ما يريد ايصاله إلى متلقيه, فأخذ يستدعي القصص القرآني في أشعاره, بما يتناسب مع الموقف الذي يريد التعبير عنه موضحًا بذلك ثقافته, واطلاعه على ما جاء بهذه القصص في القرآن الكريم, ومن القصص التي ضمنها الشاعر محمّد صالح بحر العلوم في ديوانه :

أولاً / قصّة النبي نوح (عليه السلام) :

تعد قصة النبي نوح (عليه السلام) من أكثر القصص القرآنية شيوعًا في الشّعر العربيّ التي أفرد له القرآن الكريم سورة كاملة (سورة نوح), كقولة تعالى : ﴿ إِنَّا أَرسَلنَا نُوحًا إِلَى قَومِهِ أَن أَنذِر قَومَكَ مِن قَبلِ أَن يَأتِيَهُم عَذَابٌ أَلِيم﴾ (نوح، صفحة الآية 1), فجاء الحديث عنها ضمن كثير من سور القرآن الكريم منها سورة هود, والأعراف, والمؤمنون, والشعراء, والعنكبوت, والصافات وغيرها, وقد شغلتْ قصة النبي نوح (عليه السلام) مساحة ثقافية واسعة في وجدان الشّاعر العربيّ في كل عصر, وأخذ منها ما يتناسب مع تجربته الشعريّة, وأن قصة النبي نوح (عليه السلام) مليئة بالأحداث التي اعترتها أثناء مسيرة حياتها, ابتداءً بالدعوة المضنية لقومه وانتهاءً بالمصير المستقر, فإن هذه القصة كانت حاضرة بمختلف أحداثها ومواقفها (القاضي، 2014م، صفحة 21), فقد جرى استدعاها بشكل واضح في الشعر العربيّ, وشاعرنا كبقية الشّعراء استحضر قصة النبي نوح (عليه السلام) في ديوانه, لما يتشابه مع تجارب خاضها في حياته, وهو يصور في أبياته علاقته بأخيه, إذ يظهر الشاعر مشاعر متناقضة بين المزاح والنقد, وتعكس الأبيات رغبة الشاعر في البحث عن الحب والحنان, ممّا يظهر المشاعر السلبية والايجابية في قصيدة بعنوان: (لو رجعت لرشدي), يقول فيها (العلوم، 1968م، صفحة 1/ 129):

أخٌ يُمازحنُـي حيْنا فأمْطُـرُه بوابـلِ النَّقْدِ والتَّأنيبِ أحيْانا
فلو رجعَتْ لرُشدي واعتبرتُ به لمَا رأتْ غيرَهُ عيناي إنْسانا
يفَيضُ لطْفا وتَحنْانًا فيتركنُي أفيْـض في حُبّه لطْفاً وتَحنْانًا
ولو تَراءى لِنُوحٍ في سَفيْنَتـهِ لظَلَّ يطْلُبُ حتى الحَشْرِ طُوفانًا

جاءت أبيات شاعرنا تعبر عن علاقته بأخيه, نجده يمازحه في بعض الأحيان, ويوجه له في المقابل النقد واللوم, ويتحدث عن مشاعر الندم, والرغبة في العودة إلى صواب العقل مؤكدًا على أن نظرته قد تتغير إذا استرجع رشده, ويصف المشاعر بينه وبين أخيه المتمثلة باللطف والحنان, فيعكس عمق المعاناة وعلو مكانة الأخ في حياته, فهذا الصفات تعزز من قيمة الأخوة في نظر الشاعر, ويربط الشاعر بين قصة النبي نوح (عليه السلام) والأخوة؛ ليظهر أن الروابط العائلية يجب أن تكون قوية ومستمرة مثل العلاقة التي تربطه بأخية؛ ولأن النبي نوح (عليه السلام) يمثل رمزًا للبقاء والإنقاذ, موضحه هذه الصورة أن الشاعر يشعر بحاجة ماسة لتأكيد الحب حتى يصل إلى نهايته, مشبهًا مشاعر الحب بالطوفان الذي يغرق كل شيء, وقد نجح الشاعر في التعبير عن عمق مشاعره تجاه أخيه, مستعرضاً أهمية الحب والتفاهم في العلاقات الاسري, ففي استعمال تلك الصورة, تضيف عمقًا دينيًا, وثقافياً للنص الشعريّ, فهذا الاستدعاء القصصي كان دليلاً عقلياً وبرهانًا قوياً عن طريق هذا التقابل القصصي؛ ليعزز الفكرة المقصودة التي ينشدها الشاعر في أبياته (شبانة، 2007م) .

ونرى الشّاعر محمّد صالح بحر العلوم في قصيدة أخرى يذكر النبي نوح (عليه السلام) بعنوان: (الحُبّ), قال فيها (العلوم، 1968م، صفحة 1/ 159):

فَلوْ ساواكَ في الطَّوفان(نوح) لــراح ولم يجد للفُلْك ذكْرا
كأنَّ الضُّر لا يَشْتدُّ إلا على منْ خافَ من دُنيْاهُ ذُعرْا

يستثمر شاعرنا حادثة الطوفان المشهورة في قصة النبي نوح (عليه السلام), دون ذكر صاحب القصة, فهو يكتفي بالإشارة إلى الحدث والمشهد الأبرز في القصة, تاركًا للقارئ وظيفة البحث في الذاكرة (القاضي، 2014م), فنراه يعد (نوح) كنموذج للصبر والثبات في ظل الكوارث والمحن, ممّا يظهر أن الشاعر يتحدث عن تجربة إنسانية تتعلق بالأزمات والمخاوف, يعكس شعور المساواة في المعاناة إمام الاقدار, فلأسلوب يحمل دلالة أن البشر متساوون في مواجهة المعاناة, تشير إلى حالة التماثل بين الحالتين ممّا يوضح الإحساس بالضيق, وغاية الشاعر من التشبيه هي لإظهار فكرة أن الشدائد تتزايد في الأوقات العصيبة, فهذه الأبيات تعبر عن الصعوبات التي يواجهها الإنسان, وتجمع بين الأمل واليأس, وأن غياب الفلك يعني عدم وجود ملاذ أو أمل في النجاة, والخوف من العواقب, فالشاعر محمّد صالح بحر العلوم يحاكي هذا المشهد القصصي, وينتفع من مضامينه الثقافيّة في بنية نصه الشعري؛ ليستوعب أبعاد تجربته الشعرية .

وقد وظف الشاعر شخصية النبي نوح (عليه السلام) في ديوانه؛ ليقوم باستدعائها كونها رمزاً ليشبه نفسه بها, أو ممدوحيه بالأنبياء في أحوالهم, وما جرى بهم, أو لتساعده على التعبير عن شيء ما أو إيصال فكرة ما, فنراه ذلك في قصيدة له بعنوان: (غادة الدير) يقول فيها (العلوم، 1968م، صفحة 1/ 161) :

جلَسْنا نَتعَاطاها سُلافا عُتقتْ دَهْراً
عروسٌ منْ بَنات الخُلد زفَّتْ لِملا بِكْراً
من الله أتَتْ كَرْما ونُوح جرَّها خَمْراً
فصُنْع الخَمْر من نُوحٍ وبَعْث الكَرْمِ من رَبِّيْ
فلا نَحْنُ ولا أنتِ غداً نُسأل عن ذَنْبِ

ينطلق الشاعر في هذه القصيدة بوصف الخمرة مصوراً مجالسها, فيعبر عن جلسة ممتعة مليئة بالفرح والاحتفال, مستعملاً لفظة (عتقت) دلالة على كونها ناضجة مرتْ عليها فترة طويل فذلك يدل على جودتها, ثم يشبهها بالعروس, تشبيهاً بليغاً وحذف وجه الشبه وأداة الشبه؛ ليكون التشبيه ابلغ, وأكثر حيوية وقوة, فتمكن القارئ من الشعور بحرية التأمل والتفسير, ويظهر الخمر كنعمة إلهية, ممّا يضفي عليها طابعاً روحانياً, ويشير إلى خلود الخمر فهي من زمن النبي نوح (عليه السلام) ليربط بين الخمر والتراث, وقد وظف الشاعر النبي نوح (عليه السلام) ؛ ليعطي للخمرة بعداً رمزياً , إذ يعتبر نوح رمزاً للنجاة من الفتن, فالشاعر يربط بين الخمرة كملذات وبين تجربة نوح , ممّا يوضح كيف ممكن للملذات أن تكون أيضًا وسيلة للنجاة أو الهروب, ويستعمل الضمائر المنفصلة للتعبير عنه, وعن الخمرة في (ولا نحن, ولا أنتِ) بأسلوب النفي, لعدم الاكتراث بالعواقب والمحاسبة, فيتجاهل مسؤولية الشرب, ثم يتسأل في المستقبل عن المحاسبة, وأن هناك يوم الحساب .

وفي قصيدة أخرى بعنوان : (خمرتي حب بلاد العرب) يوظف فيها شاعرنا شخصية النبي نوح (عليه السلام), ليصف فيها الخمرة فيؤكد على أنها قديمة منذ عهد النبي نوح (عليه السلام), فستعمل عهد نوح كمرجع دينيّ, إذ جعله يمثل الصبر والثبات فيقول فيها (العلوم، 1968م، صفحة 1/ 27):

أيُّها الساقي إذا الطير شدا فأنتي أنت ببنت العنـــب
عتقتْ في دنِّها من (عهد نوح) وهي تروي عنه ما قد وردا
من أحـــاديث قديم الحقب

يتكرر عند الشاعر محمّد صالح بحر العلوم الحديث عن الخمرة في أكثر من نص شعري كما هو عند بقية شعراء النجف الأشراف, وتظهر هذه الأبيات احتفاء الشاعر بالحياة والفرح عن طريق وصف الخمرة, مخاطباً الساقي خطاباً مباشراً, ويشير إلى الطيور كونه تمثل الحرية والفرح, فنراه مستعاراً (ببنت العنب) ككائن حي له شخصية, ممّا يضفي على النص جمالاً ورونقاً, ويعود إلى جذورها فيؤكد على أنه ليس حديث العهد بل كونها قديمة تعود إلى عصر النبي نوح (عليه السلام) , كونها له جذور تاريخية عميقة, فهذا يعطي طابعاً تاريخياً, وتعد جزءاً من التراث الثقافي منذ القدم, ممّا يخلق جسراً بين الماضي والحاضر, حتى أن الأدباء والشعراء يندفعون لتلبية بنت العرب أو بنت الكرم, وربما سائل يسأل! كيف لشاعر مثل محمّد صالح بحر العلوم إنْ ينظم شعراً في الخمرة, ويتغنى بها رغم من انتمائه إلى أسرة دينيّة محافظة, وبيئة دينية, ومجتمع محافظ لا يسمح بالاقتراب من أم الكبائر, ويؤكد وجوب الالتزام بالحلال, والحرام؟ يجيب الدكتور محمّد حسن علي مجيد عن هذا التساؤل إذ يذهب إلى أن هذا اللون من الشعر لم ينشأ بالضرورة عن تجربة في تناول الخمرة أو حضور مجالسها, وإنما نشأ لأسباب منها؛ لجوء الشعراء في أوقات إلى التسلية والهزل, وأنَّ وصف الخمرة, ومجالسها من نتاج العقل, والفكر لا عن تجربة, والدليل على ذلك أنَّ هناك الكثير من الشعراء وصفوا الخمرة في أشعارهم منهم السيد محمّد سعيد الحبوبيّ, والزعيم الديني الشيخ عبد الكريم الجزائريّ الذي كان زعيماً دينياً, ومرجعاً ثقة تقدسه الأرواح قبل الأجساد, فقد وصفاً الخمرة في اشعارهما (مجيد، 2002، صفحة 60), وبناءً على هذا جاء الشاعر محمّد صالح بحر العلوم كغيره من الشعراء في وصف الخمرة.

ويستثمر الشاعر قصّة النبي نوح (عليه السلام) وسفينته, في قصيدة أخرى يعبر بها عن مشاعر الفخر ببلاده, بعنوان : (سلمى) يقول فيها (العلوم، 1968م، صفحة 1/ 175):

بلـدٌ تفخرُ الملـوكُ بتقبيلِ بابــهِ

يتَحــدّى أقْوى الأسودِ بأشبالِ غابــهِ

ويبُــاهي تِبْرَ الكنـوزِ بغالي تُرابــهِ

حسَـبهُ خيَر آيةٍ فُلْكُ (نوحٍ) نجا بــهِ

تحمل أبيات الشاعر فخراً بوطنه العراق, موضحاً مكانته التاريخية والثقافية, مشيراً إلى عظمة هذا البلد, فتقبيل بابه يعد شرفاً للملوك ممّا يعكس مكانته الرفيعة, ويبين قوة هذا البلد وثقته بنفسه فهو يتحدى أقوى المخلوقات (الأسود) بأشباله, أيّ الجيل الجديد مشيراً إلى الشباب وقدرتهم في مواجهة الصعوبات, ثم يتباهى الشاعر بتراب هذا البلد مشبهه بالكنوز أو أن ترابه أغلى من الكنوز؛ ليدل ذلك على قيمة الوطن في قلوب أبنائه, والانتماء للوطن, فجعل الشاعر الوطن كسفينة النبي نوح (عليه السلام) فهو يعتبراً رمزاً للأمان والنقاء, كما كانت سفينة نوح ملاذاً للنجاة من الطوفان, فان البلد يعد مكاناً أمناً يوفر الحماية لأبنائه, ويطلب الشاعر من أبناء وطنه أن يتعاون كما كان هناك تعاون بين النبي (عليه السلام) وأتباعه؛ لتتضافر الجهود والوحدة والعمل الجماعي من أجل الحفاظ عليه, وأن يؤمنوا كما أمن نوح بوعد الله تعالى بإنقاذه, فيجب عليهم الإيمان في قدراتهم في التغلب على الصعوبات والتطلع لمستقبل أفضل, فالسفينة حمت ركابها من الخطر, والوطن يحمي أبنائه من التهديدات الخارجية التي تحاول السيطرة عليه, وبهذا فأن الاقتباس القصصي القرآني لقصة النبي نوح (عليه السلام) في هذا النص الشعري, يعكس القيم الأساسية مثل الإيمان, والتعاون, والانتماء, فيظهر مفهوم الوطن ككيان حيوي مهم .

ثانياً / قصة النبي أيوب (عليه السلام) :

كل نبي يحمل رسالة خاصة تتعلق بزمانه ومكانه, ويعكس قيمًا, واخلاقًا معينة تعزز من رسالة التوحيد, ودعوة الناس الى عبادة الله تعالى, فلكل نبي في كتاب الله تعالى خصوصية ترتبط باسمه, فآدم (عليه السلام) صاحب الأسماء, ورمز التوبة المقبولة, ويوسف (عليه السلام) رمز الإحسان والعفة, وأيوب (عليه السلام) رمز الصبر, وإمام الصابرين (عيسى، 2020م), فهو يعد مثالاً للصابر المؤمن المتمسك بدينه, وقد تجلى ذلك في قصته التي تبرز قوة إيمانه وثباته في مواجهة البلاء, فهو مثالاً حيًا للصبر أمام المصائب, فقد أمواله وأولاده, وصحته, ومع ذلك ظل متمسكًا بإيمانه بالله تعالى, وقال عنه علماء التفسير والتاريخ (كان أيوب رجلًا كثير المال من سائر صنوفه, وانواعه) (كثير، 1408هـ/ 1988م), وتظهر مكانته العالية في الصبر أذ جاء في قوله تعالى : ﴿ اركُض بِرِجلِكَ هَذَا مُغتَسَلٌ بَارِد وَشَرَاب* وَوَهَبنَا لَهُ أَهلَهُ وَمِثلَهُم مَّعَهُم رَحمَة مِّنَّا وَذِكرَى لِأُوْلِي الألباب *وَخُذ بِيَدِكَ ضِغثًا فَاضرِب بِّهِ وَلَا تَحنَث إِنَّا وَجَدنَهُ صَابِرا نِّعمَ العَبدُ إِنَّهُ أَوَّاب ﴾ (ص، الصفحات الآية 42-44), وتوضح الآيات في سورة ص, أن النبي أيوب (عليه السلام) تعرض لكل ألوان المحن, قبل أن يشكو ضره لربه, فالنبي لا يشكو حتى يفيض به الليل, ويعجز عن التحمل, ويناجي ويتضرع إلى الله تعالى بعدما ناله المرض والألم إذ ((التجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء, أو التوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل)) (الزمخشري، 1318هـ/ 1998م), فجزاء صبره أن الله رفع عنه البلاء, والآيات تدل على أنه فقد أهله وماله بالإضافة إلى مرضه العضال (الهنامي، 2023م), فالآية تدل على أن النبي أيوب (عليه السلام) ليس صابرا فقط, بل كان عبدًا مخلصًا لله تعالى يعود اليه في كل حال, فتعكس قصته أهمية الإيمان, والثقة برب العالمين في كل المحن والمصاعب, وتهدف الآية الكريمة إلى تشجيع المؤمنين على الصبر والثبات في مواجهة الصعاب, والتحديات, وأيا كان مرض أيوب فإنه ابتلاء من الله عز وجل, وأن من بعض الناس يرون في بلاء أيوب أقوالاً يوردونها تدل على أنه مرض مشوهًا, ومنفرًا للنّاس من قربانه والدنو منه, وهذا يتنافى مع منصب النبوة, وقد قرر علماء التوحيد أن الانبياء منزهون عن الأمراض المنفردة, فكيف يتصف ذلك مع منصب النبوة (النجار، 1936م), والمرض الذي اصيب به أيوب (عليه السلام) هو في جسده, وليس في عقله أو قلبه, ولسانه, ولم يبق من جسده مليم إلاّ لسانه وقلبه, وعقله بذكر الله عز وجل بهما, ولم يبق أحد عند أيوب إلاّ زوجته, كانت تقوم بأمره, ويقال أنها احتاجت وصارت تخدم الناس من أجله (كثير ا.، 2000م).

والشّاعر محمّد صالح بحر العلوم استطاع أن يوظف قصة النبي أيوب (عليه السلام) بما يتشابه مع تجارب خاضها في حياته إذ وجد في هذا القصة ما يقارن نفسه بالنبي أيوب (علية السلام) في الصبر والتحمل, وفي مواجهة الصعاب في أبيات له بقصيدة بعنوان: (تصورت هذا الكون) يقول فيها (العلوم، 1968م، صفحة 1/ 99) :

وما صبُر أيَّوبٍ كصبري على البلا ولا خطبُ أيوِّب كخطبيَ يُفزعُ

خبرتُ صروفَ الدهر شدًا وشدةً فصرَّفها صدرٌ من الدهر أوسعُ

يَعُبر الشّاعر في هذه الأبيات عن قوته صبره بالمقارنة مع صبر النبي أيوب (عليه السلام) الذي عرف بصبره العظيم على البلاء, ويشير الشاعر إلى أن معاناته ليست أقل من معاناة النبي أيوب (عليه السلام), ممّا يعكس عمق الألم الذي يشعر به, ومدى مرارة الألم التي تعرض له, ويتحدث هنا الشاعر عن تجاربه مع تقلبات الحياة وصعوباتها ممّا يعكس عمق تجربته, ثم نراه يشبه صبره بصبر النبي أيوب (عليه السلام) في البلاء والمعاناة التي تعرض لها, فكلاهما يتميز بالصبر على المصاعب, ممّا يظهر عمق المعاناة, وهذا النمط من التشبيه يعزز المعنى, ويجعل المتلقي يشعر بثقل التجربة التي يمر بها الشاعر, فالشاعر ينفي أن يكون صبر النبي أيوب (عليه السلام) كصبره, بل يتعدى ذلك, ممّا يعتبر صبره عظيماً وهذا يدل على قوة تحمله, فتم تمثيل تقلبات الحياة بـ(بصروف) وكأنها شخص يتصرف, ممّا يضيف طابعًا إنسانياً على الظواهر الطبيعية, ونلحظ الشاعر يشير الى الاحداث التي يتعرض لها الانسان ويمر بها, ويؤكد الشاعر على انه قد واجه صعوبات عديدة ممّا يدل على عمق الألم والمعاناة, ولم يكتف الشاعر بمقارنة نفسه بالنبي أيوب بل يشير الى أن مصائبه وأحداث حياته قد تكون أكثر فزعًا من تلك التي واجهها أيوب, ويوضح ذلك عن طريق شعوره بأن معاناته خاصة وفريدة, ممّا يشعره بالقلق, ويعود الشاعر ويؤكد على الرغم

من الصعوبات التي واجهته إلاّ أنه استطاع أن يقاومها, وأن قدرته على التحمل والصبر واسعة كـ(صدر الزمن) نفسه, ممّا يعكس الأمل في القدرة على تجاوز الصعوبات (الركابي، 2020م ، صفحة 58) .

ثالثًا / قصة النبي موسى (عليه السلام) :

شغلت قصة النبي موسى (عليه السلام) حيزًا كبيرًا من القرآن الكريم, فقد أشار الله تعالى إلى قصة موسى, وفرعون مع بني إسرائيل في أكثر من ثلاثين آية, وتعددت آيات موسى, ومعاجزه, وقد بلغت تسع آيات, قال تعالى: ﴿ وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى تِسعَ آيَاتٍ بَيِّنَات ﴾ (الاسراء، صفحة الآية 101), وقد تميزت هذه القصة عن القصص القرآنية الاخرى بأنها ((أكثر القصص تكرارًا في القرآن الكريم)) (البستاني، قصص القرآن الكريم دلالياً وجمالياً، 1995م), ولهذا التكرار مسوغات وأسباب في تصوير مشاهد هذه القصة, وبيان وقائعها, وإيحاءاتها من أجل تحديد مسارات العبرة, والعظمة منها, فالتكرار في عرض مشاهدها مبني على مقتضيات عرضها الدينيّة, وبعدها الاجتماعيّ, والاخلاقيّ الذي صيغت من أجله (قطب، التصوير الفني في القرآن، 1425هـ/ 2004م، صفحة 143), نلحظ أن في جميع الآيات التي ذكرت فيها القصّة فإننا لا نجد تكرارًا , وإنّ كل ما ذكر هو استشهاد لحادثة معينة تتناسب والقصّة (الشيرازي، 2005م), وكان لهذه القصص القرآنية أن تنعكس على نتاج الشّعراء, لذا فقد حظيتْ قصة النبي موسى (عليه السلام) بالنصيب الوافر من اهتمام الشعراء؛ لأنها تضمنت سنن الحياة, والكون وبقاء الأمم, وفنائها فضلاً عن أنَّ اتساع الوعاء القديم للنص الجديد يمثل محاولة لاستفراغ التجربة السابقة في تحاور بين احداث الماضي, والحاضر, وتبدو فيه الحقائق نابضة للحياة, معبرة عن سنن الكون, مصورة الواقع بما يتلمّسه الحسّ لحياة الشعوب, ومصائرها (الصغير، 1992م).

والشّاعر محمّد صالح بحر العلوم أحد الشّعراء الذين ضمت أشعاره القصص القرآني, لذا نلحظ ولا شك أن المرجعية الدينية من أبرز الروافد التي تغذي التجربة الشعرية, وأن تأثيرها على المتلقي يفوق تأثير المرجعيات الأخر, لما تحمله النصوص الدينية من قيم وعقائد راسخة, فقد وجد الشّاعر في هذه القصة بأجوائها, وشخصياتها متنفسًا للشعور, والاحساس, والعاطفة وهو يصّور في أبيات غزلية في غاية الرقة والجمال, يتحدث الشاعر فيها امرأة ذات جمال فائق يشبه جمال القمر قصيدة بعنوان: (سعاد علاء) يقول فيها (العلوم، 1968م، صفحة 1/ 165):

طلعتْ تســـتقي من (الكحلاء) فســـبتني بمقلة كحلاء
وأتت تنـــقل الخطى بوقار وتمـــاشي أترابها بحياء
فتأملت من تكون ؟ ومن ايـــن ؟ أ جاءت من جنة ؟أم سماء ؟
وهل الارض شاهـــدت قبل هذي قمرا ينتـــمي الى حواء ؟
أين (موســـى) ؟ وأين (آيتهُ البيضاء) من نور وجهها الوضـــاء؟

في هذه المقطوعة الغزلية يصف الشّاعر المرأة ويقدم وصف عينيها بـ(مقلة كحلاء), ممّا يبرز جمال عينيها, ويصف مشيتها, وكيف كانت تمشي بوقار وحياء, ممّا يدل على أنوثتها ورقتها, وهذا الوصف يضيف عمقًا للشخصية, ويجعل المتلقي يتأمل جمالها, مستعملاً دلالة اسما الاستفهام (من , أين) للتساؤل عن أصل هذه المرأة, و يتضح فضوله ودهشته للتعرف على هذه المرأة, ويتساءل عما إذا كانت الأرض قد رأت جمالاً مثل هذا من قبل, ممّا يعكس اندهاشه وانبهاره؛ ليعبر عن فكرة أن جمالها يفوق حدود الارض, ويربط بين جمالها والقمر, هذا الرابط يعزز من صورة المرأة ككائن معجز, ويربط الشّاعر جمال المرأة بآية من آيات ومعجزات النبي موسى (عليه السلام) ممّا يضفي على جمالها صبغة روحانية, في قوله تعالى :﴿ وَنَزَعَ يَدهُ فَإِذَا هِيَ بَيضَاءُ لِلنَّظِرِينَ﴾ (الأعراف، صفحة الآية 108), يصف نور وجهها الوضاء بمعجزة النبي موسى (عليه السلام) عندما اخرج يده من جيبه, فكانت بيضاء, وهي من المعجزات التي تؤكد نبوته ؛ لأنه يعبر عن دهشة الشاعر وفضوله, فهذا

الاسئلة توحي بأن الفتاة تحمل شيئًا خاصًا كأنها آية من آيات الله تعالى, ولم تكن معجزة النبي موسى (عليه السلام) اليد البيضاء التي بلغ ضياؤها الشمس والقمر أو أشد إضاءة بعيدة عن معطيات ثقافة شاعرنا, فقد أدرك تأثيرها الروحي والنفسي, والفكري, وانتفع من مضامينها في تصوير مقاصده, وما يرمي إليه (الحصونة، 2014م).

رابعًا/ النبي عيسى (عليه السلام):

إنَّ القصص القرآنيّة هي ما أخبر به الله تعالى من أحوال الأمم السابقة, وأنبائها, ونقلها وتقديمها إلى الأمّة الإسلامية؛ كونها صورة ناطقة بمّا كان عليه أسلافها من الأمم, وهذه القصص ليست للمتعة والتسلية بل للعبرة والموعظة, والعظمة, فهي مازالت تمثل ((تاريخاً لسير الدعوة الدينيّة في الحياة, وكيف خطتْ مجراها بين الناس منذ فجر الخليقة, وما العقبات التي اعترضتها؟ وهل وقفتْ عندها أو تغلبتْ عليها ؟ وما صنع الأنبياء بإزائها ؟ وكيف قبلت الأمم المدعوة رسالات الله أو صدت عنها ؟ وبمَ انتهى الصراع بين الغي, والرشد؟)) (الغزالي، 1383هـ/ 1969م), إنَّ القصة القرآنية تختلف عن القصة الأدبية بالمفهوم أو بالمعنى؛ لأنَّ القصة الأدبية تعتمد قليلاً أو كثيراً على عنصر الخيال الذي يلون الأحداث بغير ألوانها, ويبدل في شكلها, وصورها لكي تبدو تلك الأحداث إلى غير ما ألفه الناس أن يروها عليه, أما القصة القرآنية فأنها مبنية على الحقيقة المطلقة التي لا يوجد خيال فيها ولا يقصد منها الجانب الفنيّ وإنمّا الغرض منها هو الوعظ والاعتبار (الخطيب، 1384هـ/ 1964م، صفحة 39), وقد منح الله تعالى النبي عيسى (عليه السلام) معجزة احياء الموتى, وشفاء المرضى, واقترنت شخصيته بالرفق والرحمة, والطهر والنقاء, إضافته عن أنها أصبحت رمزًا عالميًا إلى التضحية حتى الصلب في سبيل المثل السماوية أو التضحية في سبيل الله تعالى اي مثال يؤمن به الإنسان (شراد، 1408هـ/ 1987م), فقد كان النبي عيسى (عليه السلام) يحيى الموتى بإذن الله الحي القيوم ليكون آية لقومه على أنه مرسل من رب العالمين, فالمحيي في الحقيقة هو الله عز وجل, لكنه سبحانه أجرى الإحياء على يدي عيسى عليه السلام برهانًا للناس على نبوته, والدليل على ذلك قوله تعالى على لسان عيسى ﴿ وَأُحيِ المَوتَى بِإِذنِ اللَّهِ ﴾ (عمران، صفحة الآية 49), وقال عز وجل مخاطبًا عيسى (عليه السلام) ﴿ وَإِذ تُخرِجُ المَوتَى بِإِذنِي﴾ (المائدة، الآية 110), أن القدرة على احياء الميت سواء أ كان ميتًا حديثًا أم تحلل جسده ليست لأحد إلاّ الله تعالى, وقد وظف الشّاعر محمّد صالح بحر العلوم في أحدى قصائده قصّة النبي عيسى (عليه السلام) التي جاءت بعنوان: (جند المستعمرين) يقول فيها (العلوم، 1968م، صفحة 2/ 166) :

لَيتَ (عيسى) يَعودُ لي فيراني كيف احييت بعده الامواتا

من قُبور (الاحيْاءِ) فانتْشَروا اليَوْمَ بشِعْري يُحارِبونَ الطُّغاة

يستمد شاعرنا من معجزة النبي عيسى (عليه السلام) فكرة احياء الموتى ليبني لنا صورة فنية, في قوله تعالى: ﴿ وَأُحيِ المَوتَى بِإِذنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُم إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ ﴾ (عمران ا.، صفحة الآية 50) , فنلحظ رغبة الشاعر في العودة إلى زمن الأنبياء , وبالتحديد عودة النبي عيسى (عليه السلام), ممّا يدل على إعجابه بشخصيته ورسالته وتأثيره على الروح البشرية, فشبه نفسه بالنبي عيسى (عليه السلام) من حيث الفكرة, إذ كانت لعيسى القدرة على إحياء الأموات بشكل حقيقي, في المقابل تختلف صورة الشاعر, كونه هناك اناس احياء لكنهم يعتبرون أموات بين الأحياء, وأن الشاعر يحاول ايقاظهم, وقد نحج عن طريق شعره أن يوقظ جذوة الحياة فيهم, فعيسى (عليه السلام) أحيا الأموات حقيقة, والشاعر محمّد صالح بحر العلوم أحيا الأموات من قبور الأحياء؛ لينتشروا في محاربة الطغاة, ويشبه الأفراد المنتشرين كالسهام في محاربة الطغاة, رمزًا للقوة, ويظهر هنا الشاعر دور الشعر كونه وسيلة فعالة في محاربة الظلم والطغاة, والشعر ليس مجرد كلمات, بل هو أداة للتأثير والتغيير, وتحريك المشاعر, وقد اعتمد على موروثه الدينيّ من القصص القرآنية معتمدًا استحضار المشهد القصصي المؤثر بكل مستوياته دليلاً لتثبيت حجته, واظهار قدرته الفنية, ويبدو أن المرجعية الثقافية الدينية بما فيها القص القرآني منحت محمّد صالح بحر العلوم طاقة إبداعية في تحويل مضامين المشهد القصصي, وإيحاءاته المألوفة إلى أنساق تعبيرية, وفنية .

خامساً / قصص أخرى:

نجد أن شاعرنا لم يقف في اقتباس القصص القرآنيّ في مرجعيّة الثقافية عند حدود قصص الأنبياء بل استوحى مشاهد محددة من قصة النبي صالح (عليه السلام), والنبي إبراهيم (عليه السلام), بما يشير إلى رغبة شاعرنا الإفادة من التجارب التي تضمنتها تلك القصص, ومن ذلك استلهم قصة النبي صالح (عليه السلام) وقومه ثمود بشكل ضمني في قصيدة بعنوان: (عيد ثورة أكتوبر الاشتراكية) يقول فيها (العلوم، 1968م، صفحة 2/ 31):

لكَ يا صالـح العصر و(القوم) ثمــودُ
آيةٌ مصدرها الحكمــة والحكم السديدُ
أشرقتْ في الراية الحمراء والأحداث سودُ
وجرتْ تلقف ما يبتــدع (الهرُّ) العنيدُ
وتكيل الصــاع صاعيــن لشيطان يكيدُ

في هذا النص الشعري يوظف الشاعر شخصية النبي صالح (عليه السلام), كرمز للحكمة والحق , وتقديراً لشخصيته ودوره, ويشير إلى قوم ثمود وهم القوم الذين كذبوا النبي صالح (عليه السلام), الذين يعدون رمزاً للطغيان والجبروت في التاريخ, فجاء ذكرهم في القرآن الكريم في مواضع متعددة مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُم صَالِحٍ قَالَ يَقَومِ اعبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرضِ وَاستَعمَرَكُم فِيهَا فَاستَغفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيب مُّجِيب﴾ (هود، صفحة الآية 61), ففي هذه الأبيات يوضح الشاعر صراع الإنسان مع قوى الشر, فالشاعر يربط بين قصة النبي صالح (عليه السلام) وقومه, مشبه القوى المسيطر على البشر بقوم ثمود فهم رمزاً للطغاة, ويسعى الشاعر إلى تحقيق العدالة والحكمة في مواجهة الأوقات العصيبة, ونراه يستعمل اللون, فدلالته عند العرب تختلف باختلاف موطنه ويتضمن معانٍ عديدة هي الشدة, والموت, والقتل, والدم, والخطر, فجاء في هذه الأبيات يدل على الخطر والتضحيات, ووظف أيضًا اللون الأسود إشارة إلى الأحداث الصعبة والمآسي والتشاؤم, ويرمز إلى مكائد الأعداء بالشيطان, وهو تصوير مشبه لما حدث مع النبي صالح (عليه السلام) وقومه من محاولات لإفشال دعوته, فهذا يجعل الأفكار تتكرر بطرق مختلفة .

وفي قصيدة أخرى أنتفع الشاعر من مضامين قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) الغنية بالصورة المعبرة والدلالات, لدعم وتقوية أبعاد تجربته الشعورية, مستثمراً بعض المواقف التي مرَّ بها النبي(عليه السلام), فنجده يقول في قصيدة له بعنوان: (وثبة النيل) (العلوم، 1968م، صفحة 2/ 196)

صَفْعَةٌ شاهَ بها الوجَهْ الّذي شاءَ أن يَسْتَسْلِم الشّرقُ مُضُاما
وَاستْحالَتْ نارُ (نَمْروديَ) في بَيْتِيَ المَوقُودِ, (بَرْدًا وسَلاما)

مسترشداً بقوله تعالى: ﴿ قُلنَا يَنَارُ كُونِي بَردا وَسَلَٰمًا عَلَى إِبرَٰهِيمَ﴾ (الأنبياء، صفحة الآية 69), مستعاراً في نصه قصة النار التي اراد النمرود أن يحرقه بها (الشيرازي، الأمل في كتاب تفسير الله المنزل، 1426هـ), فعَبر الشّاعر في هذه الأبيات عن الصراع بين الاستبداد والحرية, واستخدم رموز تاريخية, ودينية, ويشير إلى القوة, فالصفعة هنا تَعبُر عن الضغوطات,

والتحديات التي يواجهها الأفراد أو الشعوب من قبل النظام, مستعاراً (صفعة شاه) تعبرًا عن قوة وطغيان السلطان, فشبه هذه الصفعة بالقوة التي تصيب الشرق في حالة الاستسلام, وكيف يمكن للشرق الاستسلام أمام القهر, وهو في حالة ضعف, ممّا يشير الى الوضع المأساوي الذي يعاني منه الناس, (نار نمرودي) , كناية عن الطغيان والظلم, و(نمرود) رمزًا للطغيان والظلم, وقد ورد في التاريخ كملك جبار, وكيف تحولت هذه النار الى حالة السلام والهدوء أي تحول إلى برد وسلام بأمر الله تعالى, بعد إن كانت نارًا مدمرة فهذه يعكس فكرة الانتصار, فإرادة أن تكون هذه النار باردة كنار النبي إبراهيم (عليه السلام), في قوله تعالى (بردًا وسلامًا), فتعكس الأمل والاستقرار, ويلمح الشاعر إلى أن الظلم لن يدوم, وتظهر قدرة الأفراد على المقاومة, والتحول من حالة الضعف إلى القوة ممّا يجعل هذا الأبيات تعبيرًا عن التحدي والأمل في مواجهة الظلم .

الخاتمة

أهم نتائج البحث :

حاولت هذه الدراسة أن ترصد أثر القصص القرآني في ديوان محمّد صالح بحر العلوم وقد انتهت إلى نتائج أبرزها:

1- كان للشاعر محمّد صالح بحر العلوم اهتمام كبير بالمرجعيّة الدينيّة إذ كان للقرآن الكريم تأثير واضح في ديوانه بوصفه أحد مصادر الإلهام الشعريّ الذي وجد فيه ما يثري تجربته الشعرية , فأستمد منه ما يخدم تجربته الشعرية موظفاً بعض قصصه, وقد استطاع محمّد صالح بحر العلوم أن يربط بين معاني القرآن وتجربته الشخصية, وكان دافعه في ذلك عاطفته الدينيّة وذوقه الفني محاولاً في الوقت ذاته تجنب الاساءة للنص القرآني المقدس .
2- شكلت القصص القرآني ركناً مهماً في بناء القصائد لدى الشاعر محمّد صالح بحر العلوم .
3- تمكن الشاعر محمّد صالح بحر العلوم من استيعاب القصص القرآني وفهم معانيها ودلالاتها عن طريقة توظيفها بما يخدم أغراضه الشعرية, بعد أن صاغها بدلالات جديدة تعكس براعته وقدرته على التعامل مع النص القرآني مع الحفاظ على قداسته .
4- لقد وظف الشاعر محمّد صالح بحر العلوم القصص القرآني داخل نسيجه الشعري بطريقة رمزية تستند على ثقافة المتلقي .

المراجع

ابن كثير. (2000م). تفسير القرآن العظيم . جيزة . القاهرة : مؤسسة قرطبة للطبع والنشر والتوزيع .

ابن منظور. (1414هـ). لسان العرب . بيروت_ لبنان: دار صادر .

أحمد حاجم الربيعي. (2010م). القصص القرآني في الشعر الأندلسي (المجلد ط1). سوريا . دمشق: دار مؤسسة أرسلان للطباعة والنشر والتوزيع.

أحمد دعبيل جاسم. (2021م). المرجعيات الثقافية في الرصافي البلنسي . رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة بابل, كلية التربية للعلوم الإنسانية .

الخليل بن أحمد الفراهيدي. (2003). العين . بيروت _ لبنان: دار الكتب العلمية .

الفيروز ابادي. (2005). القاموس المحيط (المجلد الطبعة 8). بيروت ، لبنان: مؤسسة الرسالة .

القران الكريم. (الآية 8). سورة العلق .

حسام جاري زوير. (2014م). ثقافة أبن المعتز من خلال شعره . رسالة ماجستير غير منشور , جامعة ذي قار كلية التربية للعلوم الإنسانية .

حسين مجيد الحصونة. (2014م). المرجعيات الثقافية في الشعر الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين (المجلد ط1). دار الإسلام.

خليل كاظم غيلان الزهيري. (2011م). أثر ثقافة ابن الرومي في شعره . أطروحة دكتوراه غير منشورة, جامعة البصرة , كلية الآداب.

دعاء عجمي بشيت الركابي. (2020م). المرجعيات الثقافية في شعر حازم رشك التميمي . رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة ذي قار , كلية التربية للعلوم الإنسانية .

سعد علي جعفر المرعب. (2015). المنابع الثقافية للشعر العربي في عصر الاسلام والعصر الاموي . اطروحة دكتوراه غير منشورة , جامعة بابل كلية التربية للعلوم الإنسانية .

سعيد بن ناصر الغامدي. (2015م). المرجعية في المفهوم والمآلات. مركز صناعة الفكر للدراسات و الابحاث.

سعيد علوش. (1405هـ/ 1985م). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (المجلد ط1). بيروت . لبنان: دار الكتاب اللبناني.

سورة ال عمران, الآية 49, 50 .

سورة الاسراء., الآية 101.

سورة الأعراف , الآية 108.

سورة الأنبياء , الآية 69.

سورة العلق. , الاية : 8.

سورة المائدة , الآية 105.

سورة المائدة , الآية 110.

سورة ص , الآية 42-44.

سورة نوح , الآية 1.

سورة هود , الآية 61.

سيد قطب. (1425هـ/ 2004م). التصوير الفني في القرآن (المجلد الطبعة السابعة عشر). القاهرة: دار الشروق: 39.

سيد قطب. (2004م). التصوير الفني في القرآن الكريم (المجلد الطبعة السابعة عشر). دار الشروق القاهرة : 143.

شلتاغ عبود شراد. (1408هـ/ 1987م). أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث (المجلد ط1). دمشق: دار المعرفة.

طه حسين. (2008م). تجديد ذكرى أبو العلاء المعري . مطبعة المعارف.

عبد الرحمن التمارة. (2013م). مرجعيات بناء النص الروائي (المجلد ط1). دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.

عبد الكريم الخطيب. (1384هـ/ 1964م). القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (المجلد ط1). القاهرة: طبعة السنة المحمدية.

عبد الهادي الفكيكي. (1996م). الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي (المجلد ط1). سوريا . دمشق: منشورات دار النمير للنشر والتوزيع.

عبد الوهاب النجار. (1936م). قصص الأنبياء (المجلد ط3). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

عز الدين إسماعيل. (1971م). المكونات الأولى للثقافة العربية (دراسة في نشأة الآداب والمعارف العربية وتطورها) (المجلد ط1). القاهرة: مكتبة شغف.

عصام الدين عبد الحميد الهنامي. (2023م). القصة في القرآن الكريم . مركز فائق للخدمات العلمية .

فازع حسن رجب المعاضيدي. (1995). المضامين التراثية في الشعر العراقي الحديث 1970_ 1991 م. اطروحة دكتوراه غير منشور , جامعة بغداد . كلية الآداب .

فاطمة الطبال بركة. (1993م). النظرية الألسنية عند رومان جاكسبون (المجلد ط1). بيروت . لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

للإمام أبي الفداء اسماعيل بن كثير. (1408هـ/ 1988م). قصص الأنبياء (المجلد ط3). مكة المكرمة . العزيزية: مكتبة الطالب الجامعي.

للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن الزمخشري. (1318هـ/ 1998م). الكشاف (المجلد الطبعة الأولى). الرياض: مكتبة العبيكان.

مجدي وهبه وكامل المهندس. (1984م). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (المجلد الطبعة الثانية). بيروت: مكتبة لبنان.

محمّد الغزالي. (1383هـ/ 1969م). نظرات في القرآن الكريم (المجلد ط3). دار الكتب الحديثة.

محمّد جواد علي. (2013م). توظيف المرجعيات الثقافية في شعر محمد مردان (المجلد ط1). بغداد: دار ضفاف.

محمّد حسن علي مجيد. (2002). الفكاهة والغزل في شعر الفقيه المجاهد محمد سعيد الحبوبي. مجلة المورد, العدد 4, 60.

محمّد حسين الصغير. (1992م). الصورة الفنية في المثل القرآني (المجلد ط1). بيروت , لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

محمّد رافع غالب القاضي. (2014م). استدعاء الشخصيات ما قبل الإسلام في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري . رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة آل البيت , كلية الآداب والعلوم الإنسانية .

محمّد صالح بحر العلوم. (1968م). ديوان بحر العلوم. بغداد: دار التضامن.

محمّد كاظم عجيل. (2014م). المعطيات الثقافية وتوظيفها في شعر أبن دراج القسطلي . رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة ذي قار , كلية التربية للعلوم الإنسانية .

محمود البستاني. (1425هـ/ 1995م). قصص القرآن الكريم دلالياً وجمالياً (المجلد ط1). مؤسسة السبطين (عليهما السلام).

محمود عبد الله الجادر. (1990م). دراسات نقدية في الأدب العربي. جامعة بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر .

ناصر جابر شبانة (7 200م). التناص القرآني في الشعر العماني الحديث. مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية، العدد (4) صفحة 18.

ناصر مكارم الشيرازي. (1426هـ). الأمل في كتاب تفسير الله المنزل. قم: مدرسة الإمام علي (عليه السلام).

ناصر مكارم الشيرازي. (2005م). قصص القرآن مقتبس من تفسير الأمثل (المجلد ط3). قم , طهران.

ياسر ابراهيم رشاد بني عيسى. (2020م). المضامين التربوية في قصة نبي الله ايوب عليه السلام وتطبيقاتها المعاصرة . رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة اليرموك , كلية الشريعة والدراسات الاسلامية .